



رسائل من  
الماضي

الراسل  
حسام حمدي مبارك

إهداء

إليهمّ..

## مقدمة

هذه بعض من رسائلي، بداخلها بعض مني، تحتضن بعض من مشاعري، تحوي بعض من أفكاري، بها بعض من عباراتي، ولها بعض من أحكامي، وكلهم بعض لأنني لا أملك شيئاً مكملاً.. لا رسائلي ولا نفسي، لا مشاعري ولا أفكاري، لا عباراتي أو أحكامي..

أتعلم؟  
ولا حتى خيالي.

## رسالة رجوع

رسائل كتبها إلى فتاة لتعدل عن قرارها بأن تهجرني،  
أعطيتها إياها ومن ثم قرأتها،  
وأشادت بها،  
بل ورشحت لي معاني أفضل،  
ثم هجرتني.

دائمًا ما أحسست بهذا الشعور الذي يتلخص في أن هناك ما يمتص الحياة من داخل ثنايا قلبي أثناء تواجدي بعيدًا عنك، كأن هناك عاصفة ما نشأت من الفراغ وعصفت بهذا القلب الساذج في أول مرة رأيتك بها.. ومنذ ذلك الحين أخذت تبتلع كل ما يظهر كأنه شيء مبهج داخلي، مُرددةً بصوتها الشيطاني :  
« طالما أنت بعيد أنت مقتول »

اقتربت منك مجبرًا أثناقل على قدمي البائستين، لكنني حينها شعرت بجمال هذا العالم النقي، تلك الفراشات المنيرة المحلقة حولي، ورائحتك التي تفوقت بسحرها على أفر أنواع العطور، أصبحت غارقًا في عالمك ولم ألاحظ كم تمكن الإدمان على وجودك مني، فلقد كنت دائمًا أطلب المزيد والمزيد، اقتربت منك كزميل ثم صديق فصديق مقرب ثم شخص مفضل لكن لم أكتف؛ وها هي العاصفة قد أتت من جديد بل وكانت تزداد قوة كلما اشتدت علاقتنا، لكنها لم تحدثني سوى  
بجملة دلفت أذناي ووشمت على جدران عقلي المظلمة :  
« طالما أنت قريب أنت مشلول »

أصبحت تائهًا في ظلام الإدمان المحيط بي،  
وأصبحت رؤيتك مخدرًا  
ألجأ إليه لتقليل اضطراب الأعاصير التي سكنت أعماقي،  
ما زلتُ أتذكر هذا اليوم جيدًا،  
رحلتنا المليئة بالحديث،  
و درجات السلام،  
كانت مغامرة تبعث التوتر في الروح،  
تعرفت بها على عالمك الخجول،  
وبريق عينيك صاحبة اللون البني..  
وقتها أصبحتُ كالعجوز متأملًا لتفاصيلك  
ولم أشعر بالغباء عندما خرجت ضحكتي بسبب قصر قامتكِ،  
علمتُ وقتها أنني على وشك الإبحار في محيط لا يشمل سوى تفاصيلكِ،  
ولن أغادره إلا عندما يصيب الصمت قلبي.

غريبًا كنت تائبًا قلبي أفتقد إلى الهدوء والالتواء،  
طيلة حياتي في وحدتي  
ولكن لم أرتح لعدم ولائي لأي مكان،  
ثم أتيت وبيدك راحتي،  
فأردت أن تكون دائمة ولو كانت على حساب قدرتي من الزمان،  
أصبحت أميرتي ولك ولائي  
وأكاد أجزم أنني لم أكن أرى أي امرأة غيرك بقصري،  
كانوا جاريات وكنت أميرتي،  
لكنني..  
أفرطت في حبك والإفراط أفسده،  
لأشعر بالتهديد المقبل على مملكتي  
حينها أصبح الاختيار لزامًا  
بين أن أتوجك ملكة عرشي ومالكة قلبي أم أنفيك منه  
والبعد يصبح هو المستقبل منذ الآن.

أصبحتِ الملكة وأصاب المرض وجداني،  
كيف لك أن تكوني مليكتي ولكِ كامل السيطرة  
بل وبدأتي في تشكيهه حسب ذوقك  
وحين سألتك!

ألقيت لقبك أمام وجهي  
وتبرّتي من واجباتك أثناء استمتاعكِ بالحقوق..  
هكذا تحول عالمك

من العالم الوردي المليء بالأزهار الحمراء والفراشات المضيئة  
إلى ذلك العالم المقلق ذو المناخ المتغير  
وأصبح من الممكن أن يكون في منتصف الربيع  
وبخطأ صغير يتحول إلى أشد الشتاء،  
لم يكن ذلك عائقاً لي واستمررت في الغرقِ  
واعتدت على تقلباتكِ فلم تكن أشد قسوة من ارتطامي بالأمواج،  
حتى أنني أكثر التأمل بخبايا وجهك المتعب المتهالك،  
وفجأة فُضحْتُ!

يا له من جاسوسٍ راقب نظراتي لكِ  
ولكن لن ألعنه لأنه كان السبب في رؤيتي لابتسامتكِ أثناء فترة تربصي.



هذه المرة التي لا أعرف ترتيبها في مرات ابتعادنا،  
أُكاد أقول إنني اعتدت هذا الحال  
وأيضًا هذا ما يطمئني على قوة رابطينا،  
فنحن إن لم ندرّب أنفسنا على الابتعاد لن نستطيع أن نقرب،  
وإن لم نحارب الفرقة، كيف نستمتع بالوجود؟  
كانت المشاكل تحزنك وتورقني  
ولكنها زادت من قوة علاقتنا  
بل كانت سببًا في قربنا هذا،  
ثم بعد أشد أوقاتي توصلت إلى شيء وهو أن :  
علاقتنا لم تُخلق سدى  
ولم نقرب ليتبخر حبنا،

فقط هكذا..

# رسالة تحرق

رسائل في وصف النهايات كُتِبَتْ.

طلبتِ أن أنساك ولكن لم تعطِ لي كتاب علاج اللعنات، قلتِ أنني سأنساكِ  
وأنتِ تعلمين أن النسيان عدو لدود لي، وكيف للنسيان أن يعارضني دومًا ثم  
فجأةً يتفق معي هذه المرة، حتى استشعرت فيه الإشفاق علي أحوالي.. وإن

حدث وأتفق النسيانُ معي

هل سأتجرأ على النسيانِ!؟

في أواخر نوفمبر الكئيب أتجول في الشوارع شاغلًا تفكيري بسطحية العالم  
ليحدث ما لم يكن في الحسبان.. موجات صوتٍ تتجمع في أذني وتبعث لعقلي  
تلك الأغنية التي أحببناها معاً

" كل شيء إلا الفراق ف متسبنيش وأنا مشتاق، عمري ما تخيلت يوم أبعد

واسيب قلبي معاك "

وفي ذات اللحظة تتجسد صورتك أمام عيني، فأركض هارباً من تلك الذكرى  
التي تسللت إلى داخلي.. وأثناء هروبي رأيت تلك الابتسامة الممزوجة بهاتين  
الغمازتين ومجدداً تذكرت وجهك أثناء ابتسامك لي بالابتسامة ذاتها التي لطالما  
انتفض لها وجداني.. عدت لهروبي حتى انتهى بي الحال في غرفتي مقررًا أن

أعتزل العالم لأنسائك، وفجأةً يجول بخاطري كم قضيت من ساعاتٍ أحدثك من  
هذه الغرفة وكم ضحكت وأنا أسمع تسجيلاتك الصوتية لي،  
خرجت من تلك الغرفة المليئة بذكرياتك البائسة متجهًا لشُرفتي، والتي جاء  
دورها لإعطائي الضربة القاضية حيث كنت بها وقتما اعترفت لكِ بجبي لأول مرة  
حقيقية، وأيضًا كانت الشاهدة الوحيدة على مكالمتنا الحقيقية الأولى والتي  
استمرت ساعةً بأكملها،

كيف لي أن أنسى أشياءً أمام عيني طوال الوقت حتى وإن وقف النسيان  
بجانبي.. لا أجد الموافقة من الذكريات، أخبريني هل حبك لعني أم لعنتي أنتِ  
ذاكرتي، أخبريني أن أنسائك ولم ترشدني يومًا في طريق النسيان.

ها قد دار بنا الزمن وتلاقينا وتلاقت أرواحنا مرة أخرى، بعد نهاية كانت  
الأسوأ في تاريخ النهايات، نهاية لم تكن في صالحني أبداً ولا أعلم إن كانت في  
صالحك..

معذرة حبيبتني هل قُلت أرواحنا!

فلطالما عاتبنتني قائلةً نحن جسدان وروح واحدة.. مجرد رؤيتك زادت من خفقان  
قلبي حتى أحسستُ أنني كالطفل الذي يشعر لأول مرة بالأدرينالين في جسده،  
أريد أن أتحدث ولا أعلم ما بي..

هل سُدَّ ممر الكلمات أم لا توجد كلمات قادرة على ملء الفراغ الذي ملأ الفضاء  
بيننا؟

دائماً ما كنت أشعر أنك في ذهني تلتقطين أفكارني فلم أجد للكلمات من قبل، لا  
أعرف كيف ألومك حتى أنني لا أعلم هل ما زلت أملك هذا الحق أم لا..  
هناك سرب من الأفكار يجول بعقلي

" هل كان الهلاك مصير قصتنا المحتوم؟ إذن فلما اللقاء الآن ... "

أصابني الخذلان مجدداً في ظل صمتك المخيف واستنفدت طاقتي في التفكير، كم  
كان مؤلماً افتراقنا وكم كان محزن هذا المصير.

## رسالة حب

رسائل كتبتها إلى فتاة أحببتها ولم تُحِبُّني.

ها أنا مَنْ كان دائماً ينصح أصدقائه بعدم التعلق بل والابتعاد عنه،  
أتساءل :

لما شعرت بهذا عندما دلفت هذا الباب الذي لا يؤدي إلا  
لكل شيء خاص بك،  
لكل شيء من شأنه أن يجعلني أغرق في بحار عشقك،  
لكل تفصيلٍ قادرٍ على أن يصهرني أمامك حد ليونة الذهب،

لماذا شعرت بكل جزء هو مني يدوب في حبك ذوباناً، لا يقل سرعةً عن ذوبان  
أدق تفاصيلك في خبايا ذاكرتي حتى تصبح متشعبةً بك.

العالم لا يعلم عن حياتك شيئاً ولن يلومني لكنني أراك شخصاً به صفات ملاك  
أحلامي، مَنْ آتي لينتشلني من بين ظلمات أفكاري.. فكيف لا يتعلق بك عقلي  
وجداني!

وكيف لا أحتفظ بك بين أضلعي والذكريات!  
أخبريني كيف لي ألا أذكر جمالك في أفضل أشعاري!  
لو أخبروني قبل عام العام الحالي كيف حالك سيصبح حالي، وكيف سأراقب  
عينك، لضحكت بأعلى الدرجات يا من كنت أقرب لي من كل الناس.

ها أنا ذاك الغارق المغمور بعشقتك أتحدث، باحثًا عن فُتات فؤادي وسط بقايا  
 رواسب الجسد، نهارًا أسير مرتديًا قناعي الحديدي الملعون من قبلك لأبدو  
 مبتسمًا سعيدةً روجي، وليلاً انزعه لتطمئن مرآتي على ملامحي الباهتة مفتقدة  
 الحياة، بشرتي التي هُجرت من قبل الدماء المتصلبة حزنًا على موت صديقها الذي  
 تفتت خارج سائل حبك، شعري الخالي من الصبغة بعدما انتشر فيه الظلام  
 الملقى بواسطتك داخل خبايا عقلي ليتلف خلاياه.

نعم أنا!

أنا الذي حلمت بكِ وسحرتني ولم أعلم أن الساحرات تغزو العقل والأحلام!  
 مَنْ أنقذتِه من لدغة عقربٍ وألقيتِ به أمام الذئبِ!  
 ألم يكن أمامك منفذًا للخروج سوى تفجير صدري للذهابِ!!  
 أم لم تألني تقييد حريتك بواجبات ملكة عرشي، في الحقيقة لقد تجمدت تحت  
 تأثير درجة حرارة مشاعرك على مناخ الفضاء المحيط بي،  
 وداعًا أيتها الخنزيرة الحمقاء!  
 وداعًا يا مَنْ تسبب في إحزاني.



ها أنا مجدداً أتيت إليك مُنخفِضِ الرأسِ أشعُرُ بكلماتِ العتابِ التي لم تُقال  
والحروف التي لم تكتبها لي، أتيتُ لكِ لاجئاً مثل عادي أطلبُ منكِ بعض  
الحنان الذي لا أجدهُ من أحدٍ غيرك، أتيتُ معتذراً متمنياً أن تسامحيني، معترفاً  
بخطئي في الابتعاد عنك،

ولكن ما لا تعرفينه أنكِ الأقرب لقلبي في هذا العالم مهما كبرت بيننا المسافات..  
أكادُ أجزم أني لم أكن في وعيي عندما اتخذتُ هذا القرار الأناني بابتعادي عنك،  
ولكنهم زرعوا في عقلي وهم أنكِ أصبحتِ تؤذنين صحتي، لأنهم لم يعملوا كم كنتُ  
أنصهر عشقاً في جمالكِ، وأيضاً كم كان الهواء يغارُ منكِ لاعتزالي بنفسه عندما  
تعرفت علي عطركِ،

لهم عذرهم لجهلهم بمقدار حُبِّي لكِ وليس لي عذرٍ، والآن عُدتُ إليك عندما  
خذلني هذا العالم السطحي، وذلك ليس دليلاً على أنانيتي أو مقدار انحطاطي،  
ولكن لأنني متأكد أنه يمكنني الثقة بكِ لإيقاظي من ظلمة أحزاني، وأخبركِ بمقدار  
أهميتكِ على قلبي فنحنُ دائماً ما نختار من نثق بهم لاحتوائنا وليس من العجيبِ  
أن أختاركِ كل مرة لاحتضاني.

ها أنا وها أنتِ والفارق بيننا حاجز وضعتُ حجر أساسه فبدأتِ أنتِ البناء، لن  
أُعاتب ولن أُلوم وإنما أتيتُ مستنكرًا من أنتِ وأين أنتِ وأين بها تلك التي  
أرضت عقلي قبل أن تأسر الفؤادِ.

هذه المرة لن أخبرك عما عانته وكيف أتى الطاعون على ما بيننا من ذكرياتِ،  
ولن أقول إن حبي العظيم أفسدك ولا اهتامي الزائد أنساك من تسارع في  
الاهتمام!

ما شعورك الآن عندما تتقابل أعيننا وتجدي من كان يراكِ تلمعين مصابًا  
بالخذلان؟.

" عند رؤيتك أتمنى أن تراني "

قالتها بابتسامة لم تعد تغنيني عن بشاعة العالم بل تزيده برودةً واكتئاب، لم يكفها  
عقلي والقلب، كلامي وغيرتي، ولم ترتج لنصحي والإرشادِ، بل أرادت من  
يُملها، من يساوي الملكة بالباقيات.

أشفيتها وأمرضتني، أحببتها ولم تُحبنى بل كان بها من الفضول ما تحكم بها فاقتربت  
واقتربت واقتربت ثم خافت فأبعدتني.

النهاية وُضعتُ منذ زمن بعيد ولكن كانت ناقصةً دون رسالة اعتذار لنفسي يا  
من كنتِ نفسي، سلامٌ عليكِ من عقلٍ نصرتي عليه هذا القلب، وداعًا يا من  
تحملي.

# رسالة انطفاء

رسائل كتبها بروح مظلمة،  
وسط الهجة المنتشرة في الفضاء المحيط بي.

أخاف أن تُمرُّ أيامي دون الشعور بها،  
أن يسرقني الزمن دون صنع ما يتذكرني به العالم بعد مغادرتي هذا الكون،  
أن تغريني الوحدة وأنتهي وحيدًا علي فراشٍ مهترئٍ داخل كوخٍ على أطراف  
مدينةٍ ما،

أخافُ أن أصاب بمتلازمة الكآبة المطلقة والتي تصيب الروح حتى تتلف أركانها،  
أن يهرب الظلامُ من داخلي ليصبغ هذا الكوكب بالأسود الداكن،  
أخاف أن تُستهلك آخر قطرات الحب من قلبي حتى أصبح حيًّا ميتًا،  
أن أمسي كالوباء أصيب كل من يحاول الاقتراب مني بالحزن..  
تحديدًا أخاف أن أمضي بقية حياتي منطفيًا لا يستطيع أحدًا في هذا العالم  
مواساتي.

هائم الروح أسيرٌ متخبطاً في طريقِ غزا الظلامِ أركانه،  
أقنعة بشرية مجرد رؤيتها تبعث الاستفزاز في النفس،  
حيوانات الطرق بنظراتها الدالة على سوء الحالة و تمزق أمعائها بفعل الجوع،  
أشجار على جانبيه مجهولة الهوية تصرخ لجفاف تربتها وجفاء البشر و انعدام  
الضوء،

تترقبني مواقف تُحفر في ذاكرتي فوراً لم تكتفِ بمجرد المرور،  
تفاصيل غير مرئية لهؤلاء الحمقى تتلاعب في مرمى عيناى التي قلّ بصرها  
وازدادت حدتها.

هائمة مازالت روجي، معتدلة اصبحت خطواتي، فانتهى طريق مظلم وآخر  
حزين، وانتهى طريق ثالث وانتهت معه مغامرة مليئة بالتضحيات المحزنة،  
كتضحية روجي بجزء منها ليحيا الجزء الباقي، و تضحية قلبي بنوره بغاية التغلب  
على ظلام السبيل.

# رسالة قلم

رسائل كُتِبَتْ بقلم مكثفي من سطحية العالم  
والبشر  
ومن المشاعر  
والفتور  
والضوضاء  
والهدوء،  
مكثفي من كل شيء وأي شيء.

اكتفيت من تلك الزهرة التي أغرقتني في بحر رمادي اللون في أول مرة وقعت عيني عليها، اختطفت هي روعي إلى كوكب مختلف ممتلئ بالفراشات الملونة والأزهار المبهرة، كوكب أبدع الخالق في تشكيله من الجمال الخالص ولا شيء سواه، وله نقاء يظهره وكأنه أسمى درجات البساطة، ولكن مالا تعرفه أنه كلما زادت البساطة زاد تعقيد الأشياء، كوكب خالي من المشاعر الكاذبة والأفكار الكئيبة وليس به سوى الخير والنقاء، وبعض من اللطف يجبرك على حبس أنفاسك خوفاً من أن يكون حلم من أحلام اليقظة العابرة، ثم دون إدراك سُحرت بهذا العالم وتعلقت بوجوده حتى وإن كان موجوداً في أحلامي فقط.

وفجأة أصحو من نوبة تأملي التي دامت لجزء من الثانية على حقيقة أن وقت ذبولها سيحين لا مفر منه ولن يتسنى لي أن أرى ذلك الجمال مرة أخرى، معترفاً بأنني يمكن أن أرى جمالاً يساوي أو يفوق جمالها أضعافاً ولكن إرضاء عقلي سيكون دائماً من نصيبها، ونصيبها هي وحدها.

« أحبك »

اكتفيت أيضًا من تلك الكلمة وظني بأنها مفتاح لكل الأبواب الموصدة الأقفال  
ومزيل لكل العوائق القابعة في الطريق، من لجوئي إليها كلما ضللت مساري أو  
اشتعل بقلبي نفس الحريق، من استنجادي بها كلما أحسست أن الأمر خرج  
من متناول يدي أو فقدت زمام الأمور، من نطقي بها حينما أشعر ببرودة  
مشاعرها أو حين يصيب قلبها شيئًا من الفتور.

الحقيقة أنك وقتما تشعر بشعور الحب ستجد أنك دومًا ما تريد قول هذه الكلمة  
وتنتظر على أحر من الجمر الرد بالمثل وفي غالب الأحيان لا يحدث ذلك، ولكن  
قبل أن يصيب قلبك الحزن أسالت من قبل عن حال متلقيها؟ دائمًا تشعر فقط  
باعتصار قلبك أثناء البوح بها ولا تشعر بما ألقىت على كهل متلقيها وكيف أنك  
للتو أخبرته بأكثر الأمور سريةً في العالم،

هل ما ألقىته على كاهله يستحق صمته؟!  
لا، دعني أخبرك أن ذلك لا يبرر صمته وإنما أجمل كلمة يمكن أن يتلقاها شخص  
من شخصٍ أحبهُ وإن لم يكن يحبه.



## رسالة ظلم

رسائل كُتِبَتْ في وصف فتاة ظننت أنني ظلمتها.

" كيف لي أن أذكر صاحبة الابتسامة الشيطانية وأعين ميدوسا، شبيهة آناييل."

قابلها صباحًا و سيصبح يومًا ينبثق فيه الحوادث، وإن رأيته ليلًا لن ترى بعد ذلك صباح، كانت شروق شمسي معتمة أشرف أشعتها أبرد من النيتروجين المسال، لا تضحج بالنور بل الظلام فتجمد حولها الحياة كلها بلا استثناء، حروفها تكتبها بالدماء، هكذا بدون احساس، فتصبح لعنات يذبل بها الأخضر وتلقي الأرض في خراب.

" كيف لي أن أذكرها وقد كثرت فيها الأقاويل وسيطرت عليها الاعاجيب، كيف لي أن أذكر من ليس بها قطرة تفكير."

"أكاذيب قيلت في وصف أميرتنا، تشويه صورة قد انتشر وتسرعت في الحكم ولكن ها أنا هنا أوضحُ." "

شفاء هي كانت طبيبتها ترعب السقم في الجسم فيزول، عقلية تُحترم وتزن ألفاً من العقول، لم تمتلك أعين ميدوسا قط بل كانت تحمل نظرتها البديعة الساحرة للنفوس، شروق جمالها كسما صافية مزينة بالجسم الذي يجبر الشمس على الكسوف، ملامحها بريئة وابتسامتها نقية نقاء الحليب الأبيض من الجاموس، تنير الكوكب والعالم والمجرة وهي من أرشدتني في الطريق.

" هكذا تجلت الحقيقة واتضحت الرؤية والسلام عليها حفظها الله من كل الشرور." "

## رسالة مجهولة

رسائل كُتِبَتْ في ظروف غامضة إلى نساءٍ أُعْجِبَتْ بها.

في صدفة غريبة التقيتها وبدأت رحلتنا بمواساة لي كانت الأولى، اختنق الكلام حينها بأمنية ألا تكون المرة الوحيدة.. وجدت بها من الحياء أكثره بجانب شراسة كالعناء في لهيبها البارق، بعيدًا أصدرت حكمي بأن أرحل كما أتيت لا ينقضي قلقًا ولا خطر الكلام.. ابتعدت لأقرب أكثر كلما أبغ الرحيل عنها أجدني في السبيل إليها أسيرُ، حتى الصداقة ذقت لها طعمًا جديدًا انحل له رباط القيل، سرقت فؤادي شبيهي تلك ونصبي كان قمة الإعجاب، أنا من أقسمت ألا أعطي قلبي لإحداهن جاءت وأخذته قسرًا غريبًا، بضحكتها التي برأت العقل من ظلامه وحررت القلب من أصفاده، كشروق قمر بعد الغروب كانت وستبقى حتى يفنى معنى النقاء.

فقط رأيتها،

فتناهد دقات قلبي إلى أذُنائي، وأضاء صدري بلا استئذان، واستعادت عيني  
رؤيتها للإبداع، سرقتُ رُوحِي وفرَّ عقلي ذاهبًا لها بمجرد نظرةٍ بمقلتها اللتان  
تفوقان في الجمال كل تلك المجرات، باختصار عاد لي ذاك الشعور بأنني على قيد  
الحياة.

جاءتني يومًا ما بقلمٍ قائلة: صِفي بكلمة يا ساحر الحروفِ، جَف حبر عقلي  
ومر دهرٌ حتى أنها فارقت الحياة، وإلى الآن لم أجد من الكلمات تلك التي  
تمكنت من وصفها، فاستنفذتُ ما تبقى لي من أيامٍ متعجبًا، أكان ذلك نقصٌ مني  
أم كانت هي طفرة عجزت عن نعتها اللغات.

"أماريليس شكلاً، أماريليس حباً، أماريليس جمالاً.. نقاء قلب، سذاجة عقلٍ  
وسحر ابتسامة"

كانت وستبقى هي أجمل زهرة في كل البساتين، متألفة بجمالٍ ملائكي منبعه قلبها  
المميز بالصفاء وبها من الطيب ما يرسلك إلى فضاءٍ نقي خال من الهموم.

لم أرها سوى تجسيد لكل ما هو لطيف في هذه الحياة، وركن ينسيك بشاعة  
العالم السطحي كوكب رائع برغم ما حوله من عتام.

منذ الوهلة الأولى عرفتها، منذ الوهلة الأولى اتضحت التلقائية متزينة بجيائه، لا  
تستحق أدنى من الوقوع بجبها.

"نقاء قلب، سذاجة عقلٍ والضياء حليقٌ لها."

ما بال يومي كيف تبدل حاله من العسر يسرًا هكذا بعد أن رأيتها!  
كانت الزوينة تمشي في وقار بصحبة ابتسامتها سارقة القلوب،  
تحيط بجمالها في خمائر متزينة به أيضًا تلك الشَّموس،  
حصان تنحني لها العفة في احترامٍ وتقدير،  
أنظر لها سيرفرف قلبك فهي المقصدُ دونًا عن هذه الشموع،  
دَعْجَاءٌ كانت عينها كاللكواكب السيارة في جمالها المعشوق،  
رَقْرَاقَةٌ الوجه ثغرها كالقمر يلمع بين النجوم في فضاءٍ بديع،  
دَخِيمَةٌ مرغوبة ليست راغبة لم تكن كالدهثمة السهلة الوصول،  
هي الغيداء تلين وقتما تحب و إن ضايقتها تكشر عن أنيابها ومخالها لتشُق  
الصدور،  
في اختصار كانت خُود عَظْهَرَةٌ في ثوب عَبَقْرَةٌ رائعة بِشوش،  
تلك هي المليحة الحقيقية بخمارها الأسود المهيب.



## رسالة إليها

رسائل كُتِبَتْ إلى الوحيدة التي تفهمني ،  
مَن في وجودها لم أشعر بأني وحيدٌ في عقلي ،  
التي أتت لتزيح هم الاكتئاب عن روحي ،  
إلى سارقة قلبي والوحيدة التي اقتربت من نفسي ،  
إليكِ حبيبتِي .

## ماذا فعلتِ لقلبي لئتمناكِ هكذا؟

سنوات نسيت عدّها آخذًا في حفر الخنادق خلف الحائط الحديدي حوله،  
كمجرم في السجن أصبح داخل حصنٍ صنعته بعدما أخطأً بجبهة اهتزت لها  
الروح متبوعة بدموع، كيف بالأجنحة تنمو له مرة أخرى حتى أنه بدأ العصيان..  
الدهر مر عليّ أحسنه كيف اقتربت منه هكذا بل وأصبته بسهم خادع ذهب  
خلاله مآزًا بدرعه الحامي، أرضيتِ عقلي الصعب بعده بيسر ماء يجري دون  
عَوَائِقِ، أتيت تهدمين الصخر راجمةً للحزن جئتِ تبين السعادة وتزرعين بذور  
الحب حتى.. لكن لِمَا أنتِ ولِمَا قلبي ولِمَا الآن جئتِ بعد تَحْطُمِي!،  
إن أنتِ تسعين وراء تسلية أو إرضاء الذات أخبريني، لن أقدر على الابتعاد  
لكن لا تُخْفِي عَلَيَّ حَقِيقَةً سترمي بي لفوهة العذاب.

**الآن عرفْتُ ما فعلتِه لقلبي لئتمناكِ!**

لقد أخذتِ بيده تجاه ضوء النجاة، إلى الحياة.

ما رأيك أن تمسكي بقلبي قليلاً ونسافر، ندخل كل الأفلام الرومانسية في طريقنا ونخرج منها بعد القُبلة الأولى، لتأخذنا الرياح بهدوءٍ نحو الشاطئ فنشهد اختباء الشمس تحت تلك الأمواج خجلاً من لمعان قربنا الذي يشتد بعد كل ابتعادنا لنا حسبناها ستكتب في تاريخ النهايات، بعدها يتبين ذاك القرص المتلألئ ثم يغازلك ظناً منه أن مكانك الأصلي في السماء، أخفيك بين أضلعي وأهرب من عينيه فيزداد الموج حدةً ويحضر السحاب، مُمسِكاً بيدك نُهرول تحت أمطار تسبب فيها حبنا حتى النجاة، ها قد عادت بنا الأيام والذكريات مجدداً إلى مكان اللقاء الأول بيننا لأتذكر كيف أوقعتني بابتسامتك في هذه الشباك، موسيقى بيتهوفن تُعزف في الخلفية انبثقت من ذكرانا تلك والأضواء خافتة والجو يملأه الحنين والاشتياق فامسكي يدي واهديني ذلك الشرف للمرة العاشرة بعد المائة، لقد اقتنعت الآن أننا لن نفترق ما دمنا على قيد الحياة لأنه لم يعد هناك من سبيل لعزل أرواحنا المندمجة بالانصهار، إلى أن تنتهي أمسيتنا تلك اسمحي لي بأن أخبرك بأني أحبك عدد تلك النقاط المكونة للنقاط على فستانك البديع.

مرحبًا حبيبتي، بعد أن تخطينا حاجز المواعيد العشرين سأحدثك عن نسختي من ميعادنا الأول، في ذلك اليوم أيقظت المنبه في الخامسة فجراً، على الأرض أصلي ومكانك الآن ليس في بيتك ولا حتى بين أضلعي بل بين اللهم وآمين، بعدها أكوى قميصي الذي رأيتني فيه أول مرة وأجهز عطرك المفضل أثناء تعجبي من وجهي الذي أثار فجأةً، هممت إلى قهوتي التي سكن فيها وجهك حديثاً، فمر اليوم عليّ كالبرق والآن في السادسة مساءً قبل الميعاد بساعتين افتح باب المقهى البسيط الذي اتفقنا على أن يكون الشاهد على أول لقاءاتنا، عقرب الثواني أبطاً ليُشعل في نار قلبي النيران، وبعد فنجان القهوة التاسع ومرتي المئة والخمسة فوق الأربعين لنظري إلى الساعة أتيت، كاد قلبي ينفجر ولم أعلم قط أكان السبب معزوفة بيتهوفن أم كان مظهرك من يسلبني روعي، عاد عقرب الثواني في الهرولة مصطحباً معه إخوانه ولم أشعر بي إلا وأنا أقف في وسط مفترق طرقنا بعد نهاية الموعد الذي خططت له منذ عام مضى، ماذا ننتظر؟، لا أتذكر فاسمحي لي بأن أسألك: " هل انتهى موعدنا بتلك القبلة المنحوتة في عقلي أم أنني اختلقتها لتُكَمِلَ يومي الأفضل في الحياة؟ ".

في بعدٍ ما أقف مكبلة يداي بيداكِ، وفي بُعدٍ غيره تُلعب موسيقانا الخاصة  
باحترافية، الساحة الآن أصبحت لنا واسعةً تنتظر خطواتكِ، وقلبي وقلبكِ ها  
هما يرقصان في تناغم، سأأخذ الخطوة الأولى وأجذبكِ ناحيتي فاحذري أن  
يبتلعكِ صدري أو تلتصقين في روعي، فقط أمسكِ يدي وتمايلِ على أوتار حبنا  
الداقي، في انسجامٍ معي اتركِ لي حق التفادي، أنتِ فراشتي فحلقي معي فوق  
الرياح، فات الآوان فقد غرقتُ في بحرٍ لن أستطيع النجاة منه أو الاستسلام،  
قطرات تجمعت بداخلي حب وسعادة، مغامرة وابتسامكِ، كنتِ شروقًا لشمس  
أطالت في الغيابِ، بعدساتكِ الدائرية والثوب الذي خطف الفؤادِ، لا تركيني  
حتى وإن كرهتِ سابقى لتلعينني لكنني سابقى ما دمت على قيد الحياة.

## رسالة أخيرة

رسائل كتبتها وأنا أشد الرحال للمغادرة،  
سواءً أكانت مغادرتي اللقاء،  
أو مغادرتي البحث،  
أو مغادرتي الحياة.

أعلم أنني لم أحدثك منذ فترة ليست بصغيرة ولا أعتقد أنك افتقدتني في الدقائق الأخيرة قبل أن تغلقي نافذة الرسائل، أكتب لك الآن لأنني لن أحتمل السكوت على ما يشعر به قلبي حاليًا، ولأول مرة في الحياة أحس بأنني على هذا القدر من الانسجام مع البساط المظلم فوقتي، فقط ينتابني شعور الوجود في الأعلى بجانبك لحمايتك من ظلام الوحدة وتلك النجوم - لكن لا أعرف ما أفعله هنا أثناء غيابك - اعتدنا نحن على السهر سويًا حتى الشروق لأهروول متأخرًا على موعدنا في حلمي وتختفي لذهابي، اليوم لم أشعر بأنني محاط بالفراغ المظلم المليء بالمصابيح لأنني من داخله أرسل هذه بحالٍ أشفقت عليها النجوم ذاتها، عزيزتي أرجو منك إخباري هل تغير مرساكِ هكذا أم أن الظلام تمكن من إخفاءكِ

عني.

انتهت رسالتي الأولى ولا زالت رحلة التقصي عنك غير كاملة، أجوبُ العالم في إنتظار رؤية أحد الأطياف المنبعثة من فضائك المحيط، حتى انتهى بي مطاف الزمن إلى بداية رحلة رجوع الشمس للغرب مخالفةً لأحد أمثالي المفضلة، ومطاف الترحال لأصبح خلفك شاهدًا على تردد الخطوات وعجلتك في المغادرة، حتى أنني أجزم بأن لم أركِ قبلاً بكل هذا التيه وحالك الذي يشبه تخبط السكرير - ولكن لما اللوم وأنتِ من المؤكد أنك سكرتِ عن الواقع لكي تتمكني من اتخاذ القرار بالابتعاد عن مجرتي - حتى أنكِ حزمتِ ما استطعتِ تذكره من المواقف بيننا معكِ والرسائل المميزة والألقاب، لكن على الرغم من ذلك كنتِ كما أنتِ بل ازددتِ قليلاً في الجمال لدرجة أنسييتني مظهر السماء وزينتها من الغيوم، اكتملت رحلتي وتأثرت في انتهائها حتى أنني لا أعرف لما الهروب الآن، عزيزتي هل أصاب الملل فؤادك أم أن قلبي أصبح بك لا يليق.



تحت سِتار الانعزال عن ذلك العالم انسلت اُكذوبتي، على ورقة بالية اكتب لكِ الحقيقة على أمل أن يزيح هذا الفعل الألم عن أفكاري، أنا لم أعلم حتى هل كنت الأناني في روايتنا أم لم يكن هناك غيري من الأساس، لذا آمل ألا تقع هذه الرسالة بين أناملك فتعيد لكِ ما كان بيننا والذكريات، فقط لئلا يزداد كرهك لي حُبًا ويتأثر حبك لي بالكراهية تجاهي.

في أحد أيام تموز ومنتصف النهاية جئتِ أنتِ ببداية أبدلتني بشخصٍ جديد سقط ليغدو أقوى، كأحد أسهم هيلينوس استهدفتِ قلبي غير قاصدةٍ لكنك برأتني من الظلام الذي أحاط بي ساعتها، وفي الوقت الذي كنت فيه بحاجةٍ إلى يدٍ لسحبي من هوة الاستسلام وجدتُ كلتا يداك ممتدة ترحب بمساعدتي على التسلق، لقد كان خطأي منذ البداية أن حسبت قلبي قد تَلَف ولكن كيف له أن يكون تالفًا وهو ينبض بِاسمكِ حتى الآن، أعلم أن الاندهاش سيزول سريعًا لأن وعلى الرغم من كثرة الأعيبي وكلماتي الغامضة لم أستطع السيطرة طيلة الوقت حتى كُشِفَت أسراري، لكن ما فاجأني وقتها هو علمك بنواياي التي لم تكن سيئةً على الإطلاق لكنك تجاهلتِ وهذا إلى الآن يحيرني فإما أنك تعلقتِ بي حينها لذا لم تُغادري وإما أنكِ في الحب مثلي قد علقَتِ.

لم تَسْنَح لي الفرصة للاعتذار على تلك الأفعال لذا سأفعل ذلك الآن قبل أن  
ينفذ مني الوقت، أعتذر على كل مرة اختبأت فيها من الحقيقة وراء كلمات  
أنستك فيما كنا نتحدث، وعلى كل حرفٍ خرج مني وأصاب قلبك أو وقف  
أمامك يتراقص، على احتفاظي بهكذا سر حتى تستمر صداقتنا ولا تخيب  
آمالك، وعلى كل أذوبة قُلتها بهدف البقاء قريبًا متفاديًا مرارة الفراق.

في يومٍ ما بمستقبل حاضرك تحت غُلاف الليل ركبْتُ قدماي متسللاً في طريقٍ  
بلا عودة لأنتهي هنا في منفى النسيان، أُعيدُ بناء مملكتي المكونة مني وفتات  
قلبي ودمعات روجي وظلامي بكوخٍ شعرت دومًا أنه اللعنة التي مهما فعلت فهي  
دائمًا على الأبواب، حتى سرقتني الزمن من العالم وها أنا على فراشٍ مهترئٍ  
بم تلازمتي وقلبي الذي يفتقر لابتسامتك التي ذهبت وسلبته الحياة، منتظرًا ملك  
الموت ليخلصني من عذاب الوحدة ويُنجيني من سواد الخوف والندم، بالمناسبة  
هنا المكان لا يُزهر سوى ورودٍ رمادية كالتي سرقتني ذات يوم، ولكن أغمق  
بعده درجات لا أُميزها.

وفي النهاية يجب أن أنفض الغشاوة من على سبب ابتعادي، لقد رحلتُ لأنني  
أحببتك في وقتٍ ليس بالمناسب، ولأنني علمت أن مهما فعلت لن يصبح الحب  
جسرًا بينك وقلبي، ولأنني خفت من أذية شخص كان مأوى لي يومًا ما، رحلتُ  
لأنني لم أستطع اخبارك بما يؤرقني، لكنني أحببتك.

×

××

×××

تحت ظلام الليل الدائم هنا وعلى رمال مقبرتي أرسُم وداعي الذي هربت منه  
بلا مفر، وداعًا إلى الأبد..

×××

××

×

# رسائل من الماضي

هذه بعض من رسائلي، بداخلها بعض مني،  
تحتضن بعض من مشاعري، تحوي بعض  
من أفكاري، بها بعض من عباراتي، ولها  
بعض من أحكامي، وكلهم بعض لأنني لا  
أملك شيئاً مكملاً.. لا رسائلي ولا نفسي،  
لا مشاعري ولا أفكاري، لا عباراتي أو  
أحكامي..